فقد إختار الله الطير دون غيرها ليجرى عليها الخليل هذه التجربة لأنه أقـــرب إلى الإنسان بإعتبار طلبه المعاش والسكن ولذلك وقع فى الحديث (لو توكلتم على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) ولأنه أجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتى ما يفعل به من التجزئة والتفرقة ولما فية من مزيد أجزاء من الريش فى إحيائها مزيد ظهور القدرة ولأن من صفته الطيران فى السماء وكان من همسة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الميل إلى جهة العـــلو والوصول إلى الملكوت فكانت معجزته مشاكله لهمته . أ . هـ[1] .

وقال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . إن السبب فى تخصيص الطير على غيره من الحيوان أنه أكثر نفوراً من الإنسان فى الغالب . فإتيانها بمجرد الدعوة أبلغ فى المثل . أ . هـ[1] .

قالوا أن السبب فى كونها أربعة ليضع الخليل فى كل جهة من الجهات الأربع بعضها وتحدثوا كذلك عن تحديد أنواعها وليس فى الحديث عن ذلك ما يضيف جديداً فى فهم الآية .

وقد ذكر الألوسى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها العرنوق والطاووس والديك والحمامة وعن مجاهـــد بدل الغرنوق الغراب وفى رواية بدل الحمامه . بطه ، وفى رواية نسر . أ . هـ[2] .

أما قوله تعالى (فصرهن) فإن له معنيين . الأول : فقطعهن والثانى . فأملهن إليك وقد فصل القرطبى القول فى معنى هذه الكلمة فقال (صرهن) معناه قطعهن قاله ابن عباس ومجاهد وأبو عبيدة وابن الأنبارى يقال

---

(١) الألوسى حـ ٣ صـ ٢٨

(٢) المنار حـ ٣ صـ ٤٦ (٣) الألوسى حـ ٣ صـ ٢٥

(صار الشيء . يصوره أى قطعه . وقاله ابن اسحق ، وعن أبى الأسود الدؤلى .

هو بالسريانية التقطيع والصور : القطع ، وقال الضحاك وعكرمه وابن عباس فى بعض ما روى عنه أنها لفظه بالنبطية معناها قطعهن .

وقيل المعنى . أملهن إليك أى أضممهن وأجمعهن إليك يقال رجل أصور إذا كان مائل العنق ويقول إنى إليكم لأصور يعنى مشتاق مائل ، وإمرأة صوراء والجمع صور ، مثل أسود وسود قال الشاعر :

الله يعلم أنا فى تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا صور

فقوله « إليك » على تأويل التقطيع متعلق — بخذ — ولا حاجة إلى مضمر وعلى تأويل الأمالة والضم متعلق « لصرهن » وفى الكلام متروك فأملهن إليك ثم قطعهن ، أ . هـ[1] .

أما قولة تعالى « ثم ادعهن يأتينك سعيا » فإنه يفيد إن الخليل عليه السلام قد أمر بأن تدعو هذه الطيور التى ذبحها وجزأها وفرقها فى الجبال ليرى كيف تستجيب لدعائه بعد أن تنضم أعضاء كل طائر منها بعضها إلى بعض ثم تعود إليها الحياة بإذن الله مرة أخرى ، وقد إعترض على أمر الخليل بدعاء الطير فقيل : هل أمره بدعائهن وهن أحياء أم وهن أموات ؟ وعلى كل حال فدعاؤهن قبيح لأنه أمر ودعاء إليها ثم التى التى لا تعقل ولا تفهم قبيح وكذلك أمرهن وهن أعضاء متفرقة أظهر فى القبح .

وقد أجيب على هذا الإعتراض بأنه لم يؤمر بدعائهن إلا حال الحياة لا فى حال التفرقة والتمزق وأراد بالدعاء الإشارة إلى تلك الطيور فإن

---

(١) القرطبى حـ ٢ صـ ١١٠٩ كتاب الشعب .

الإنسان قد يشير إلى البهيمة بالمجيء والذهاب فتهم منه ويجوز أن يسمى ذلك دعاء على سبيل المجاز[١]

وقال أبو جعفر والطبرى : أن أمر الله تعالى ذكره إبراهيم عليه السلام بدعائهن وهن أجزاء متفرقات إنما هو أمر تكوينى كقول الله للذين مسخهم قرده بعد ما كانوا إناساً « كونوا قرده خاسئين » لا أمر عباده فيكون محال إلا بعد وجود المأمور المتعبد ، أ ، هـ[٢] .

وقيل إن فى الآية حذف كأنه قال فقطعن ثم إجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً فإن الله تعالى يحيين فإذا أحياهن فأدعهن يأتينك سعيا — فالدعاء إنما وقع بعد الإحياء على هذا الرأى وقد علق عليه الألوسى بأنه رأى فيه تكلف لا تساعده الآثار ، أ ، هـ[٣] .

وقد اتفق جمهور المفسرين على أن (صرهن) بمعنى قطعهن وعلى أن الخليـــل عليه السلام قد إمتثل لأمر الله فذبح الطيور وقطعها ومزقها على الجبال القريبة منه ثم دعاها إليه فسعت إليه مستجيبة لدعائه بعد إجتماع أعضائها وعودة الحياة إليها .

وقد شذ عن إجتماع المفسرين على الفهم للآية الكريمة أبو مسلم الأصفهانى ، فحمل الآية على وجه ظاهر الفساد لأنه قال : إن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بأن يأخذ أربعة من الطيور ويجعل على كل جبل طيراً وعبر بالجزاء عن واحد من الأربعة ثم أمر بأن يدعهن وهن أحياء من غير إماته تقدمت ولا تفرق من الأعضاء وعودهن على الإستجابة لدعائه والمجيء إليه فى كل وقت يدعوها فيه ونبه بذلك على أنه تعالى إذا أراد إحياء الموتى وحشرهم أتوه من الجهات كلها مستجيبين وغير ممتنعين كما تأتى هذه الطيور بالتمرين والتعويد .

---

(١) تنزيه الأنبياء عن المطاعن ص ٣١

(٢) الطبرى حـ ٣ ص ٥٩ — ٦٠ (٣) الألوسى حـ ٣ ص ٣٩

وذكر أبو مسلم أن الغرض من هـــذا ذكر مثال محسوس لعود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة وقد علق الألوسى على هذا الرأى لأبى مسلم فقال لا يخفى أن هذا خلاف إجماع المسلمين وضرب من الرجيحه إلى ما تمجه الأسماع ولا يدعو إليه داع فالحق إتباع الجماعة ويد الله تعالى معهم أ ، هـ[٢] .

وقد ذكر الفخر الرازى رأى أبى مسلم وذكر أدلة الجمهور على فساده وهى الأول : أن كل المفسرين الذين كانوا قبل أبى مسلم أجمعوا على أنه حصل ذبح تلك الطيور وتقطيع أجزائها فيكون إنكار للإجماع .

الثانى : أن ما ذكره غير مختص بإبراهيم ﷺ فلا يكون له فيه مزية على الغير .

الثالث : أن إبراهيم أراد أن يريه الله كيف يحيى الموتى فظاهر الآية يدل على أنه أجيب إلى ذلك وعلى قول أبى مسلم لا تحصل الإجابة فى الحقيقة .

الرابع : أن قوله (ثم إجعل عن كل جبل منهن جزءاً) يدل على إن تلك الطيور جعلت جزءا جزءا . أ هـ .

وقد إنتصر الشيخ رشيد رضا لرأى أبى مسلم وإرتضاه فى تفسير الآية وقال عنه إنه هو المتبادر من عبارة الآية الكريمه وإنه الذى يدل على غاية مايمكن ان يعرف البشر عن سر التكوين والإحياء وهو توضيح معنى قوله للشىء (كن فيكون) ولولا أن الله تعالى بين لنا ذلك بما حكاه عن خليله لجاز أن يطمع فى الوقوف على سر التكوين الطامعون ، ثم قال بعد إستطراد وجملة القول :

---

(٢) الألوسى جـ ٣ ص ٣٠

أن تفسير أبى مسلم للآية هو المتبادر الذى يدل عليه النظم وهو الذى يجلى الحقيقة فى المسألة فإن كيفية الإحياء هى عين كيفية التكوين فى الإبتداء، وإنما تكون بتعلق إرادة الله تعالى بالشىء المعبر عنه بكلمة التكوين [كن] فلا يمكن أن يصل البشر إلى كيفية له إلا إذا أمكن الوقوف على كنه إرادة الله تعالى وكيفية تعلقها بالأشياء... اهـ(١) .

وهذه المحاولة من صاحب المنار للدفاع عن رأى أبى مسلم ظاهرة البطلان فقد إعتمد فيها الشيخ رشيد رضا على ضرب من التفلسف ومحاولة إيهام إن ماقصده الخليل يسؤاله ربه رؤيه كيفية إحياء الموتى تتحقق إجابته له بفهم أبى مسلم للآية ، وليس الأمر محتاجاً إلى ماقاله الجمهور وما ثبت فى الآثار وأن الخليل ذبح الطيور وقطعها وفرقها على الجبال ثم دعاها فأتته ساعيه بإذن الله تعالى .

ومن الآراء المتأثره برأى أبى مسلم فى الآية والمشابهة أيضاً لتأويلات الباطنيه ما ذكرة صاحب كتاب المعجزة فى رساله إبراهيم عند حديثه عن سؤال إبراهيم فقد أطال القول فى فهمه للآية وفيما يراه ولكنه لخص مايريد أن يقوله بعد كلام مشوش غير واضح : فقال فيتلخص مما تقدم أن إبراهيم عليه السلام سأل عن كيفية إحياء الله الموتى — كيفية خاصة تتعلق بتبليغ الرساله ونشر الدعوة لا عن إحياء الموتى اهـ(٢).

ولست أدرى ما هذه الكيفية الخاصة التى تتعلق بتبليغ الرسالة التى سأل إبراهيم ربه أن يريه إياها ، أن هذا تفسلف من المؤلف لايفيد فى فهم الآية ، وإنما يخرجها عن ظاهرها ويخالف إجماع المفسرين فى تفسيرها ثم يعود المؤلف بعد صفحات ملأها بكلام لامعنى له ليلخص لنا رأيه فى الآية مره أخرى فيقول فى ص٦٦ وصفوه القول فيم أسلفنا من تفصيل لغوى

---

(١) المنار حـ ٣ ص ٤٣ (٢) المعجزه فى رساله إبراهيم ص ٥١

معنوى ، هو أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه .. كيف يعلم هؤلاء الناس ما جاء به من رسالة فيصروا أحياء بالعلم بعد موتهم بالجهل فإن الجاهل ميت والعالم حى فأخبره الله تعالى بكيفية تعليمهم وهى أن يصيروا إليه ثم يلقى عليهم دوراً يغذى بها نفوسهم وينورها عقولهم فلا يصيروا بعدها إلى غيره ولا يلبثوا إلا دعاء مثلهم فى ذلك مثل الطير المدجنه تلبى دعاء صاحبها مهما ابتعدت بينها وبينه المسافة ا هـ ، وواضح أن ماقاله قريب .

من رأى أبى مسلم إن لم يكن هو يعنيه ، وقد درج هذا المؤلف فى كتابه على مخالفة آراء جمهور المفسرين فى الآيات المتعلقة بقصة ابراهيم الخليل فى القرآن الكريم ، وكأنه أراد بكتابه هـــذا مخالفة ما أجمع عليه الجمهور ولو بتكلف الآراء الباطله التى لا يحتاج إظهار فسادها إلى جهد وعناء ومن الآراء الفاسدة أيضاً فى فهم الآية ماذكره القرطبى عن بعض أهل المعانى: وهو قوله : إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيى القلوب . وهذا رأى فاسد مردود[1] .

وقد زعم بعض من خرجوا على إجماع الجمهور أن الخليل عليه السلام لم يقم بتنفيذ ما أمره الله به فى الآية بدليل أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى القصة إمتثال الخليل للأمر وقيامه بالتجربة وقد نسى هؤلاء أن القرآن الكريم يوجز فى القصص ولا يذكر منه إلا مايؤدى إلى الهدف المنشود من ذكر القصة فى القرآن وهو العظه والعبره والأمثله على ورود الإيجاز كثيره فى القرآن الكريم منها قوله تعالى فى شأن يوسف : وقال الذى نجا منهما وإدكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » .

---

(١) المعجزة فى رسالة إبراهيم صـ ٥١

فى أثناء هذا العرض لآراء المفسرين فى الآية الأدلة على فساد رأى من زعموا أن سبب سؤال الخليل هو الشك فى قدرة الله على إحياء الموتى هذا والأسباب التى ذكرها المفسرون لسؤال الخليل لا يحتاج إلى شىء منها فى فهم الآية ولا يقبل شىء منها إلا إذا ثبت بطريق النقل الصحيح عن النبى ﷺ ولم يثبت ذلك لواحد منها .

ولهذا فاق كل الروايات التى ذكرت فى كتب التفسير يمكن القول بأنها تقتبسه من الاسرائيليات وقد ذكر هذا الموقف من مواقف قصة الخليل فى سفر التكوين فى الإصحاح الخامس عشر ولكن على غير هذا الوجه ، بل على وجه إن إبراهيم أراد أن يعلم أنه سيرث الأرض التى وعده الله أن تكون لنسله وذريته فأراد الله أن يعلمه ذلك وأمره أن يأخذ عجله ثلاثية وعنزا ثلاثيه وكبشاً ثلاثياً ويمامه وحمـــامة ، فأخذها وشق ماعدا الحمامة واليمامة وجعل كل شق مقابل صاحبه فنزلت الجوارح على الجثث وعند الغروب وقع سبات على ابراهيم وظلمه ورعب وفى تلك الحال قال الله لإبراهيم إن نسلك سيتعبدون فى أرض الغربة ويذلون أربعمائة سنة ثم يخرجون فى الجيل الرابع يرجعون إلى هذه الأرض ويملكونها ولما غابت الشمس أنزل الله تنور دخان ومصباح نار جازا بين القطع وقطع الله العهد لإبراهيم وأن أولاده من (أور) الكلدانيين، لأعطيك هذه الأرض لترثها. فقال إبراهيم ، أيها السيد الرب بماذا أعلم إنى أرثها فقال له خذ عجله ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامه وحمامه . . فأخذ هذه كلها وشقتها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه وأما الطير فلم يشق فنزلت الجوارح على الجثث وكان إبرام يزجرها ولما صارت الشمس إلى الغيب وقع على أبرام سبات وإذا رعبه وظلمة عظيمة واقعه عليه فقال لأبرام (أعلم لقينا) أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم تذلونهم أربعمائة سنة ، فالأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأموال جزيله .

وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبه صالحة وفى الجيل فإن فى هذه الآية إيجاز بالحذف بعد قوله(فارسلون) تقديره فأرسلوه فذهب إلى يوسف فقال له : ومثاله أيضاً قوله تعالى فى سورة الرعد ... (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أوقطعت به الأرض ، أوكلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً) وفى الآية إيجاز بالحذف بعد قوله تعالى (أو كلم به الموتى) تقديره لكان هذا القرآن ، فلا يفهم إذن من عدم تسجيل القرآن الكريم لتنفيذ الخليل الأمر الإلهى ، بإجراء التجربة التى أمر بها أن الخليل لم يمتثل الأمر فهو لم يكن محيراً فيه ، فنص الآية ليس فيه إن شئت فخذ أربعة من الطير حتى يتعلق الأمر بمشيئته : إنما كان الأمر له قاطعاً بكلمة خذ ، وأوامر الله واجبة الطاعة والإمتثال وأول الناس إطاعة وإمتثالا هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال الآلوسى رحمه الله موضحاً هذه المسألة ، وإنما إقتصر سبحانه على حكاية أوامره جل شأنه من غير تعرض لإمتثال خليله عليه الصلاة والسلام ولا لما ترتب عليه من آثار قدرته التى علمت النذر منها للإيذان بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليله واستتالة تخلقها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلا وزعم بعضهم أن الخليل عليه السلام لم يفعل شيئاً مما اقتضاه ظاهر الكلام وأن الأوامر فيه مثلها فى قولك لمن لا يعرف تركيب الخبز مثلا خذ كذا وكذا وأمكنهما سحقاً وإلق عليهما كذا وكذا وضع ذلك فى الشمس عدة أيام .

ثم استعمله تجده خبراً جيداً فإنه لا يقتضى الإمتثال إذا كان لى أن أختار رأياً من آرائهم التى ينتهى فى الآية فإن الرأى الذى أختاره وأرجحه هو الذى يقول إن الخليل عليه السلام قد سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى لا عن شك فى قدره الله على الإحياء (حاشا الخليل ذلك) بل

إنه سأل ربه ما سأل طلباً لزيادة المعرفة ولترقى من علم اليقين إلى عين اليقين مصداقاً لقول النبى ﷺ (ليس الخبر كالمعاينه) وقد بينت الرابع يرجعون إلى هنا ، لأن ذئب الأمورين ليس إلى الآن كاملا ، ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع ، وفى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصير إلى النهر الكبير من الفرات . . . الخ [1] ، وهذا يدل على تحريف اليهود لهذا الموقف من مواقف قصة الخليل فبدلا من أن يذكروا السبب فى أمر الله للخليل بأن يأخذ الطيور ويذبحها وتقطعها كما ذكره القرآن، حرفوا القصة فجعلوا السبب فى ذلك هو أن الله أراد أن يقطع مع إبراهيم عهداً بأنه سيورثه الأرض الواقعة بين الفرات والنيل وكذب اليهود وصدق الله العظيم حيث قال:(وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولو تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعياً وأعلم أن الله عزيز حكيم .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر .